لغـــــة الطـــفل

في

ضوء علم اللغة النفسي

بحث مقدم من

الدكتــور

شريف إبـراهيم بـحيرى الجمل

مدرس العلوم اللغوية
كلية التربية – جامعة طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين .. وبعد،،

فتعد **اللغة** أساس الحضارة البشرية، وعامل أساس من عوامل التكيف مع الحياة، ووســـيلة رئيسة من وسائل التواصل مع الآخرين، بها تتواصل الأجيال، ومن خلالها يكون التفاهم والتخاطب

وتشمل اللغة كل ما هو **مكتوب ومنطوق** بل تتعدى ذلك لتشمل الإيماءات والإشارات وتعبيرات الوجه التي تصاحب سلوك الكلام .

ولقد وقر فى أذهان الناس منذ القديم تقديسها وإعظام شأنها. ولما كانت اللغة من الوسائل والأدوات التي تستعين بها العلوم الأخرى على كثرتها وتنوعها – فضلاً عن كونها أصـــلاً لـــبعض العلوم – لم يعد الدرس اللغوي وقفاً على أهل اللغة، بل امتد الاهتمام باللغـــة إلى أهـــل العلـــوم الأخرى، ومن ثم حظى مفهوم اللغة باهتمام علماء اللغة وعلماء الاجتماع وعلماء الـــنفس علـــى السواء.

ونحاول – فى هذا البحث – **التعرف على اكتساب الطفل للغة**، والمراحل التي يمر بهـــا؛ لأنها تنهض دليلاً على أن اللغة مكتسبة، وليست غريزة فى الإنسان .

إن **اكتساب** اللغة لدى الطفل البشرى يبدأ "باكتساب الأصوات اللغوية، ثم تبدأ تلـــك الأصوات فى التمايز لتصبح كلمات لها معنى، ثم يتم تركيب هذه الكلمات مـــع بعـــضها الـــبعض لتكون جملاً نحوية، وتراكيب ذات معنى أيضاً .

والصوت الإنسانى "ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من أصوات طبيعية، إذ ينـــشأ عـــن اهتزازات مصدرها الحنجرة، فعندما تضغط عضلات القفص الصدرى، وتتقلص الرئتان ليندفع منها الهواء عبر القصبة الهوائية فالحنجرة. يحدث اهتزازات، ويستمر فى سيره حتى يخرج من فم المتكلم أو

أنفه، فيحمله الهواء الملامس لفم المتكلم أو أنفه متموجاً بالصورة التي خرجت عليها الذبذبات حتى يصل إلى أذن السامع"[١].

ينشأ الصوت الإنسانى باصطدام الهواء الخارج من الرئتين بالأوتار الصوتية فى الحنجرة، ثم يمر خلال الفم والأنف؛ حتى يصل إلى أذن السامع[٢].

ويتوقف **وضوح** الصوت وارتفاعه على الفراغات المضخمة للصوت عنده، الحنجرة والفراغ الحلقى والتجويف الأنفى والشفتان وهذه الفراغات الرنانة، أو المرنات، تعمل فى الصوت الإنسانى عمل الصناديق الرنانة فى الآلات الموسيقية، أى أنها تضخم الصوت ولذلك تسمى "المضخات الصوتية"[٣].

إن "النفس الإنسانية بما يعتورها من حالات الرضا والسرور، والغضب والنفور، والاستحسان والاشمئزاز، وغير ذلك، ينعكس أثرها على اللغة فى تطورها وحياتها، إذ تقبل النفس ألفاظاً فتحيا، وتعاف ألفاظاً أخرى فتموت، ويؤدى النبر المعبر عن الرضا أو الغضب، إلى تغيير فى النطق، فتطول بعض المقاطع الصوتية، وتقصر الأخرى وتتلاشى .

وهكذا نرى أن دراسة العلاقة بين نفسية الشعوب المختلفة ولغاتها، من واجبات اللغوى كذلك"[٤].

إن علاقة "علم اللغة بعلم النفس كانت مصدراً لجدل عنيف ثار مؤخراً، ويرجع هذا أصلاً إلى عناية (تشومسكى) الخاصة بهذه القضية، ونظريته فى علم اللغة تنتهى إلى أن أعظم عمل يمكن الإسهام به فى علم اللغة هو أن تدرس العقل الإنسانى، وأن علم اللغة سيكون أكثر دقة ووضوحاً إذا ما عد فرعاً من علم النفس الإدراكى"[٥].

---

[١] د. عيد محمد الطيب، أصوات اللغة العربية، ص٨ .

[٢] د. عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ص٣٤ .

[٣] انظر: د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوى، ص٨٠- ٨٢ .

[٤] د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى،ص١٤٥- ١٤٦.

[٥] Crystal, Linguistics, P. P. 254, 255

وينصب "اهتمام علم اللغة النفسى Psycholinguistics على عملية اكتساب اللغة لدى الأطفال، والنظريات التي حاولت تفسير تلك العملية، والعوامل المؤثرة فى ذلك بيولوجية كانت أو نفسية أو اجتماعية"[١].

شهدت العناية بلغة الطفل تطوراً كبيراً فى منتصف القرن العشرين، بعد التقدم الذى طرأ على الأجهزة التي يمكن الاستعانة بها فى التسجيل الحى الدقيق لنماذج من كلام الأطفال فى مراحل العمر المختلفة، وتحليلها، وتقديم الوصف اللغوى لها[٢].

وهناك الكثير **من المناهج وطرق البحث** التي تبناها علم اللغة وعلم النفس فى دراسة لغة الأطفال، ومن أشهرها منهجان، أو طريقتان[٣]:

١ - طريقة العينة الطبيعية Naturalistic Sampling: وأساس تلك الطريقة تسجيل كلام الطفل، وهو فى وضع مريح، ومكان مفضل لديه، وأفضل الأماكن البيت الذى يعيش فيه الطفل؛ بل غرفته الخاصة به. وربما يلجأ بعض الباحثين إلى إحضار الطفل فى المركز الذى يعمل فيه؛ حيث يسمح له باللعب بحرية كاملة ببعض الألعاب، وهو يتحدث إلى والديه، أو إلى أطفال آخرين، مع قيام الباحث بتسجيل الملاحظات ذات الاتصال المباشر بلغة الطفل.

فهذه الطريقة **مثالية**، من سلبياتها

- أنها لا تعطى معلومات وافية عن فهم الأطفال لما يسمعونه من حولهم.
- أن العينات التي تقوم عليها الدراسة لا تحتوى على كل مايتصل بلغة الطفل؛ لأن الباحث ربما يتجاهل بعض الملامح المهمة التي تتصل بالمقدرة اللغوية للطفل .
- أن العينات ليس فيها أى توضيح عن تعليم الطفل اللغة .

٢ - طريقة التجريب أو الاختبار العلمى Experimentation: وتقوم تلك الطريقة على أساس الانتفاع بالتجريب الذى يعد من مبادئ البحث فى علم النفس، فى دراسة لغة الطفل

---

[١] د. سيد أحمد البهاص، سيكلوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص٧٥ .

[٢] د. محمود سليمان ياقوت، دراسات فى فقه اللغة، ص٤٦ .

[٣] انظر: السابق، ص٤٦ ومابعدها .

والكشف عما يتصل بها. ومن أمثلة ذلك أن يفترض الباحث صيغة حول مقدرة الأطفال على استخدام أو فهم أحد أوجه اللغة، ثم يستنبط أحد الفروض التي تناسب مجموعة الموضوعات التي طرحها، ويجرى، بعد ذلك، عملية تحليل إحصائي؛ حتى يتعرف على **الظواهر** التي تتصل بلغة الأطفال.

وقد لقيت طريقة التجريب هى الأخرى بعض الانتقادات؛ لأنها قائمة على الافتراضات التي يستغرق إثبات صحتها عدة سنوات، والتأويلات التي قد تختلف باختلاف رؤية الباحثين؛ بالإضافة إلى أن النتائج التي توصلت إليها خاصة بعملية إنتاج الأطفال للكلام فقط، ولاتحتوى على نتائج تتصل بعملية التعلم .

وقد **قسمت** البحث بعد المقدمة إلى تمهيد، ومبحثين رئيسيين وخاتمة، **وألحقت** بالبحث قائمة المصادر والمراجع التي استعنت بها .

وبعـــــــد ،،

فهذا جهد متواضع، أدعو الله – عز وجل – أن يتقبله وأن يتجاوز عما به من زلل، وأن ينفع به، وأن يجعله فى ميزان حسناتي .

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون}

صدق الله العظيم

(سورة التوبة/ آية ١٠٥)

والله وحده ولى ا لتوفيق

التمهيد

إن **علاقة** علم اللغة بعلم النفس كانت مصدراً لجدل عنيف ثار مؤخراً، ويرجع هذا أصلاً إلى عناية **(تشومسكى)** الخاصة بهذه القضية، ونظريته فى علم اللغة تنتهى إلى أن أعظم عمل يمكن الإسهام به فى علم اللغة هو أن تدرس العقل الإنسانى، وأن علم اللغة سيكون أكثر دقة ووضوحاً إذا ما عد فرعاً من علم النفس الإدراكى[١].

ومع أن معظم اللغويين لا يشاركونه هذا الرأى فلا أحد منهم ينكر الروابط المشتركة القوية بين علم النفس وعلم اللغة .

فموضوع اكتساب اللغة من أكثر مجالات الدراسة المشتركة بين علم اللغة وعلم النفس أهمية. يقول **(كريستال)** : لم يكن شىء يعرف عن الحقائق الفعلية لاكتساب اللغة عند الأطفال وبخاصة مايتصل بالنظام المكتسب الذى يتمثل فى الأبنية النحوية، و لم يكن لدى أحد إجابة عن أسئلة أولية مثل: متى وكيف يطور الطفل مقدرته على صوغ الأسئلة صياغة مقبولة؟ ومتى يتعلم الأنظمة الصرفية للغنه؟ إن جهوداً كبيرة قد بذلت حديثاً من أجل دراسة هذه المشكلات وصفياً ومنهجياً، ومن أجل الحصول على معلومات بهذا الشأن وتحليلها[٢].

وقد كان المعتقد قبل ظهور النظرية التوليدية أن الشرط الأساسى لاكتساب اللغة هو التعاون بين الطفل والراشد، فاللغة هى الأداة المثلى التى تم بواسطتها التماس الاحتكاك بينهما، إلا أنها لا تكتسب بصورة تلقائية... فلابد من التدرب على النطق والتعلم لفترة طويلة حتى يستخدم لغته بطريقة مرضية[٣].

نقلت نظرية تشومسكى البحث اللغوى من الاقتصار على الوصف والتحليل دون التفسير، إلى محاولة تفسير الظواهر، وفرق (تشومسكى) بين القدرة اللغوية Competence،

---

(١) Crystal, Linguistics, P. P. 254, 255.

(٢) السابق، ص٢٥٤ .

(٣) د. حنفى بن عيسى، محاضرات فى علم النفس اللغوى، ص١٤٢.

والأداء Performance[١]. اهتم علماء اللغة بدراسة العقل البشرى ودوره فى العملية اللغوية، لمحاولة تفسير الظواهر اللغوية من خلال علم النفس الإدراكى، ومن أهم موضوعات علم اللغة النفسى (Psycholinguistis) محاولة التعرف على قدرة الطفل على اكتساب اللغة: متى، وكيف؟[٢].

يعرف ابن جنى اللغة بقوله: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٣].

ويشتمل هذا التعريف على أربعة جوانب، يستحق كل جانب منها شيئاً من التفصيل، وهذه الجوانب هى :

١ - أن اللغة أصوات . ٢ - أن اللغة تعبير .

٣ - أنها تعبير يعبر بها "كل قوم". ٤ - أنها تعبير عن "أغراض"[٤].

إن اللغة "هى النظام الرمزى المستخدم فى الاتصال، واللغة هى رموز اجتماعية يشترك فيها الناس للاتصال وتتكون من رموز وقواعد كثيرة لتجميع هذه الرموز، وأن الحديث شكل من أشكال اللغة لكن هناك أساليب أخرى لأشكال اللغة وهى :

- غير لفظية: (إشارات، تحرك أجزاء من الجسم، تعبيرات بالوجه).
- لفظية (حديث – كتابة- غناء).
- صوتية: (أصوات الحديث وأصوات غير كلامية مثل الابتسامة)" [٥].

وعلى ذلك، فإن اللغة نظام يشتمل على (المفردات اللغوية، القواعد)، وقد تكون المفردات كلمات منطوقة أو إشارات بالأيدى أو رموزاً مرسومة على الورق، وتتألف القواعد من قوانين للجمع بين الكلمات أو الإشارات أو الرموز.

---

[١] انظر: جودث جرين، علم اللغة النفسى (تشومسكى وعلم النفس)،ص١٣٣. والتفكير واللغة، ص١٨٣ ومابعدها .

[٢] د. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص٩٢ .

[٣] الخصائص، ١/ ٣٤ .

[٤] انظر: د. عبده على الراجحى، فقه اللغة فى الكتب العربية، ص٦٠-٦١.

[٥] د. سهى أحمد أمين، الاتصال اللغوى للطفل التوحدى، ص٦٧- ٦٨ .

ولو حاول كل واحد منا أن يتذكر سنوات الطفولة المبكرة الخاصة به فسوف يلاحظ أن أحداً لم يعلمه طريقة بناء الجملة، والعناصر الرئيسة التى تتكون منها، كالفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، أو طريقة صياغة المثنى وجمع المذكر السالم، وغير ذلك، وإن كنا لا نستطيع إغفال دور التعلم فى تلك السنوات؛ لأن الأسرة تعلم الطفل العبارات التى تقال حين التحية، المحظورات اللغوية Taboo وعلى رأسها الكلمات التى يجب الابتعاد عنها فى الاستعمال اللغوى وغير ذلك من الأشياء التى تخضع للتعلم.

وتشير "معظم الآراء إلى أن نمو اللغة كأى جانب سلوكى آخر، يسير وفق مراحل مختلفة ترتبط الواحدة بالأخرى حيث لم يعد بالإمكان وصف أى مرحلة من المراحل بشكل منفصل عن المراحل السابقة لها. وتمر اللغة فى عدة مراحل إلى أن تصل إلى شكلها المألوف الذى يتيح للفرد استعمالها كأداة للتعبير والاتصال وهى تعتمد فى نموها على مدى نضج وتدريب جهاز النطق، وعلى مستوى التوافق العقلى والحركى والحسى الذى تقوم عليه المهارة اللغوية وخاصة فى بدء تكوينها. فالطفل يكون متهيئاً للكلام عندما تكون أعضاؤه الكلامية ومراكزه العصبية قد بلغت درجة كافية من النضج، كما يجب أن تمكن الأطفال من الوظائف الأساسية فى تعلم الكلام مثل: الاستيعاب واللفظ وبناء المفردات وتكوين الجمل"[١].

ومما سبق، فإن مراحل تطور اللغة تنقسم إلى مرحلتين هما: الأولى: وهو الكلام المتمركز حول الذات، هذا النوع يأخذ فى التدهور تدريجياً حتى يتلاشى فى سن المدرسة تماماً. ثم تأتى المرحلة الثانية: وهى الكلام الاجتماعى حيث يتعلق الطفل فى كلامه ببيئته الاجتماعية المحيطة به فى المدرسة والمنزل[٢].

ونستطيع أن نقسم اللغة إلى **نوعين رئيسيين** :

النوع الأول: وهو **اللغة اللفظية** التى نعبر عنها فى ألفاظ، وهى مظهر قوى من مظاهر النمو العقلى والحسى والحركى، ووسيلة من وسائل التفكير والتخيل والتذكر .

---

[١] د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٦٥ .

[٢] انظر: د. زينب محمود شقير، اضطرابات اللغة والتواصل، ص١٨٥ .

والنوع الثانى: هو **اللغة غير اللفظية**، وتعنى كل الوسائل الأخرى غير اللفظية للتفاهم بين الكائنات الحية، "فحركة اليد لغة، وإيماء الرأس لغة، وقس على ذلك غمز الحاجب، ولمز الشفة، وطرف الجفون، والتصفيق ورفع اليدين للدعاء، والإشارة التى تؤدى إلى فهم معنى ما"(١).

وقد ذهب العالم الدنماركى يسبرسن Otto Jespersen إلى أن هناك ثلاث مراحل متميزة تستغرق النمو اللغوى عند الطفل، وهى:

١- مرحلة الصياح أو الصراخ .

٢- مرحلة الثرثرة أو البأبأة .

٣- مرحلة الكلام أو التكلم. وهذه المرحلة الثالثة تنقسم إلى فترتين :

أ- فترة اللغة الصغيرة التى يقلد الطفل فيها الأصوات التى ينطقها الكبار من حوله .

ب- الفترة التى تتضح فيها لغته ويصبح كلامه أشد انتظاماً وأقرب إلى الكلام الذى يلفظه الكبار(٢).

ويقول يسبرسن إن اللغة ينظر إليها "عن طريق الفم والأذن وليس عن طريق القلم والعين"(٣).

ما "أن يبرز الطفل الوليد إلى حيز الوجود ويرى النور لأول مرة حتى تنطلق منه الصرخة الأولى التى تدل على الحياة. ويأخذ هذا الصراخ بالتردد على فترات كلما احتاج ذلك الطفل إلى الرضاعة أو تضايق من ملابسه المبللة أو وخزه دبوس اللفافات التى تحيطه الأم بها. وما أن تمضى أسابيع قليلة حتى يشرع هذا الطفل بالمناغاة فيأخذ بإصدار أصوات متعددة مختلفة ليس من الضروري أن يكون قد سمعها ممن حوله وكأنه يقوم بتدريب أوتاره الصوتية على إصدار الأصوات المختلفة التى يختفي بعضها كلية حالما يبدأ بالكلام.

---

(١) د. فؤاد البهى السيد، الأسس النفسية للنمو، ص١٧٢ .

(٢) د. محمود أبو زيد، اللغة فى الثقافة والمجتمع، ص٦٦- ٦٩ .

(٣) Jespersen, Language, P. 23

وفى الوقت نفسه يبدأ بالتعرض على أصوات أولئك الذين يحيطون به بصفة متصلة، وتدريجياً يستطيع أن يميز بين أصوات الأشخاص المختلفين وبين الأصوات المختلفة للشخص الواحد كالأم مثلاً، فيفرق بين الصوت الرؤوف الحنون والصوت الغاضب الحاد النبرات، ويستجيب لكل منهما استجابة مختلفة"[١].

من أهم أنواع الأصوات فى الطفولة :

١- الأصوات الوجدانية أوأصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات.

٢- الأصوات الوجدانية الإرادية، حين يدرك الطفل أن هذه الأصوات من شأنها أن ترغم الكبار على تحقيق رغباته .

٣- أصوات الإثارة السمعية، وهى أصوات فطرية تصدر من الطفل فى شهوره الأولى، حينما يسمع بعض الأصوات .

٤- أصول التمرينات النطقية أو اللعب اللفظى بأصوات اللين ثم الأصوات ذات المقاطع .

٥- الأصوات التى يحاكى بها الطفل أصوات الأشياء والحيوانات.

٦- الأصوات المركبة ذات المقاطع والدلالات الوضعية التى تتألف منها الكلمات وتتكون منها اللغة[٢].

العوامل المؤثرة فى اكتساب الطفل اللغة:

تتأثر لغة الطفل بعوامل مختلفة تتصل بعضها بالتكوين العصبى النفسى العضوى، ويتصل البعض الآخر بالبيئة التى يحيا الطفل فى إطارها، فنسبة الذكاء والعاهات السمعية والبصرية والصوتية وجنس الطفل ذكراً كان أو أنثى، كل ذلك يؤثر فى معدل نمو الطفل اللغوى، فتسبق الأنثى الذكر فى بدء نطق الكلمة الأولى، وتظل الفتاة متميزة عن الفتى فى قدرتها اللغوية، كما تدل الدراسات

---

[١] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص٧١ .

[٢] انظر: د. على عبد الواحد وافى، علم اللغة، ص ١١٩- ١٢٦ .

العلمية المختلفة على أن أطفال البيئة الاقتصادية الاجتماعية المرتفعة يتكلمون أسرع وأدق من أطفال البيئة الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة[١].

وفيما يلى مراحل النمو اللغوى :

١- المرحلة قبل اللغوية . ٢- المرحلة اللغوية .

[١] د. فؤاد البهى السيد، الأسس النفسية للنمو، ص٢٠٦ وما بعدها .

وانظر: د. سيد أحمد البهاص، سيكولوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص٨٢- ٩٧. ود. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٩٥-١١٥ .

المبحث الأول

المرحلة قبل اللغوية

(١) مرحلة الاستجابات المنعكسة:

أ- صيحة الميلاد :

إن "أعضاء النطق لدى الطفل تصل إلى مستو لا بأس به من النمو ويمكنها أن تؤدى وظيفتها قبل ميلاد الطفل... غير أن مظاهر الحياة عند الطفل المولود حديثاً تبدأ بصرخة الميلاد الناتجة عن اندفاع الهواء بقوة من حنجرته فتهتز أوتارها، وهكذا تبدأ الحياة بمنعكس يعتمد فى استثارته على دخول الهواء إلى الرئتين. وهذه الصيحة سببها فسيولوجى محض، وهى أول ظاهرة من ظواهر اللغة الإنسانية، ولهذه الصيحة أثر فعال فى فتح المجال الهوائى لجهاز النطق عند الطفل"[١].

أما "التفسير الفلسفى لصرخة الميلاد (الصرخة الأولى) فيشير إلى أنه تعبير عن خروج الطفل من الضيق فى الرحم إلى حيز الوجود الواسع المملوء بالأضواء والضجيج .

ويرى علماء النفس اللغوى أن صرخة الميلاد هى أول بادرة يعبر الطفل من خلالها عن قدرته على إصدار الأصوات. والصراخ الحاد الانفجارى هو أكثر أهمية بالنسبة للطفل لأنه يفيد فى نمو اللغة لديه وهو شكل من أشكال اللغة غير المتطورة"[٢].

ويساعد "صراخ الطفل فى هذه المرحلة على إشباع رغباته (الأكل – الشرب – الإخراج)، وللصراخ فى هذه المرحلة أهمية كبرى، لأنه يفيد فى نمو اللغة لدى الطفل ويعده العلماء اللغة غير المتطورة"[٣].

---

(١) د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٦٥ ومابعدها .

(٢) د. سيد أحمد البهاص، سيكلوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص١٠١ .

(٣) د. سهى أحمد أمين، الاتصال اللغوى للطفل التوحدى، ص٦٩ .

ب- الصراخ والأصوات الانفعالية :

عند الولادة تكون حصيلة الطفل الصوتية قاصرة على الصراخ (البكاء) وبعض أصوات النخير الصادرة عن الخياشيم، وأيضاً أصوات القرقرة الصادرة عن الحنجرة، وهناك أنواع من الصراخ (البكاء) لكل نوع معناه أو هدفه فمثلاً:

١- بكاء الولادة: ويستمر لبضع ثوان ويأتى بعد أخذ الوليد نفسين عميقين يسببان له آلاماً فى الرئتين فيصرخ.

٢- بكاء الحاجة: وغالباً ما يكون بسبب الجوع، ويكون بعد مرور من (٢-٤) ساعات من الوجبة السابقة وهو بكاء يرتفع فيه صراخ الوليد.

٣- بكاء الألم: ويكون استجابة لألم أصاب الطفل - من ألم الشك بالإبرة أو ألم السقوط أو الاصطدام- وهو بكاء طويل يعقبه صمت طويل ثم بكاء مرة ثانية بعد استعادة التنفس، ويصاحب هذا النوع من البكاء توتر عضلى فى الوجه وتقلصات فى عضلات مختلفة من الجسم.

٤- بكاء الغضب: ويشبه بكاء الحاجة أو الجوع، إلا أنه يكون أكثر حدة نتيجة دفع مزيد من الهواء عبر الأحبال الصوتية[١].

وينقسم الصراخ إلى :

أ- صراخ عشوائى: وهو يحدث نتيجة الانعكاسات الجسمية وامتداد التنفس .

ب- صراخ موجة: حيث يصوت الطفل من أجل إشباع حاجته[٢].

جـ- الضحك والأصوات السارة :

ومنذ "الشهر الأول يصدر الطفل أصواتاً هادئة تدل على الشعور بالارتياح، وفى شهره الثانى يشعر بصوت المتكلم، وفى شهره الثالث يبتسم عند رؤية وجه أمه أو أبيه، وتصدر عنه أصواتاً

---

[١] د. محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسى والاجتماعي للطفل فى سنواته التكوينية)، ص٤٢ .

[٢] د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٦٧ .

تدل على سروره، وفى الشهر الخامس يصدر أصواتاً ناعمة كهديل الحمام عند شعوره بالارتياح، وتعد هذه المرحلة تدعيماً بالروابط الاجتماعية بين الطفل والمحيطين به إذ يكتسب الطفل القدرة على التمييز بين أنواع التنغيم المختلفة للكلام الصادر من المحيطين به"[١].

٢ - مرحلة المناغاة Lalling Stage :

وتسمى مرحلة الثرثرة أو الثغثغة Babble Stage كما يطلق عليها مرحلة الصدى الصوتى .

وقد اختلفت "الدراسات حول بداية ونهاية مرحلة المناغاة فبعضها يرى أنها تبدأ فى الأسبوع الثالث للميلاد، وتستمر حتى نهاية الشهر الثالث من عمر الطفل، لكن هيرلوك Hurlock من خلال دراسة تجريبية أثبت أن الطفل يبدأ من الشهر الثالث من الميلاد فى السيطرة على مجرى الهواء إلى حد ما، وفى مطلع الشهر الخامس أو السادس تبدأ المناغاة لديه، بشكل واضح وتستمر حتى الشهر الثامن ثم تتراجع تدريجياً لتدمج مع المرحلة التالية، وهى مرحلة تقليد الأصوات المسموعة ومحاكاتها"[٢].

وفى هذه المرحلة يبدأ "الطفل بإحداث ترديدات من تلقاء نفسه تكون شبه واضحة وتأخذ شكل لعب صوتى، وتكون هذه الأصوات من أجل إسعاد الطفل لنفسه فيجد الطفل فى ذلك لذة ومتعة، وفى هذه المرحلة – أيضاً- يكتشف الطفل فعالية الأصوات التى يصدرها وذلك فى إطار ردود الأفعال الصادرة من المحيطين وأولهم الأم. وجميع الأطفال يمرون بمرحلة المناغاة بما فيهم الأطفال الصم، والبكم، والمتخلفون عقلياً وغيرهم، وقد تستمر هذه المرحلة من عدة أشهر إلى سنة تقريباً، وما يتلفظه الطفل فى هذه المرحلة يعدل ويتغير ويتمايز وذلك حسبما يتوافر للطفل من مدعمات من حوله"[٣].

ويتعلم الأطفال خلال تلك المرحلة "التمييز بين الأصوات الخاصة بلغتهم وتلك التى ليست جزءاً من اللغة، كما يتعلمون المحافظة على الأصوات الصحيحة ويبتعدون عن تلك التى بها أخطاء.

---

[١] د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٦٧.

[٢] د. سيد أحمد البهاص، سيكلوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص١٠٢ .

[٣] د. سهى أحمد أمين، الاتصال اللغوى للطفل التوحدى، ص٦٩ .

ويبدأ الطفل فيما بين الشهر الثامن والشهر العاشر من عمره فى الثرثرة ببعض الكلمات حتى يصل خلالها إلى الإنتاج الحقيقى للكلام، وبعد ذلك يتمكن من إنتاج بعض النماذج الصوتية التى يمكن معاملتها على أنها منطوقات تشير إلى الأشياء والأحداث، وتحتاج تلك المنطوقات إلى بعض الإيضاحات الخاصة بطبيعتها ودورها فى إظهار المعرفة اللغوية عند الطفل والتعبير عنها"[١].

يبدأ الطفل يسمع نفسه "وهو يناغى حيث يبدأ ذهن الطفل يدرك تنوع الأصوات التى يدركها ويربط بينها وبين طريقة إخراجها، وهنا يبدأ عند الطفل مرحلة تجريبية يحرك فيها أجهزته الصوتية بأشكال مختلفة ويستمع لنتائج هذه التغيرات والحركات"[٢].

وفى "مايسمى" بـــ "مرحلة المناغاة" يبدأ الطفل فى اكتساب خصائص تنغيم اللغة السائدة فى بيئته من حيث ارتفاع طبقات الصوت فى أثنـــــاء الكلام، ثم فـــــى الاستجابـــة إلى أصوات الآخرين وإصدار أصوات شبيهة بأصواتهم، ثم فى إنتاج أصوات معينة يستخدمها بصورة متكررة للتعبير عن معان أو مواقف معينة"[٣].

وإذ "كلف الطفل فى هذه المرحلة بأمر ما مثل (اقفل الباب، هات الكوب، ضع لعبتك فى العربة... إلخ) أو طلب الإشارة إلى عضو من أعضاء جسمه أو أعضاء غيره (أين أنفك، فمك، أذنك، أبوك، أمك، عمك، سريرك، لعبتك.. إلخ) أدى الطفل ماطلب منه... وأشار إلى ما يطلب إليه تعيينه من أعضاء وأشياء فى صور تدل دلالة قاطعة على فهمه لما سمع .

وفى نهاية هذه المرحلة تقريباً يكون الطفل قد تمكن من نطق عدداً كبيراً من الأصوات وهو يفضل فى هذا الوقت أن تكون الكلمة من مقطع واحد أو مقاطع متشابهة. وفى نهاية السنة الأولى يقترب التنغيم Intonation عند الطفل من التنغيم السائد فى لغته القومية، ويبلغ الطفل الطور النهائى من مرحلة ما قبل الكلام عندما يبدأ باستعمال كلمات معينة يستطيع الكبار تمييزها"[٤].

---

[١] د. محمود ياقوت، دراسات فى فقه اللغة، ص٥٢ .

[٢] د. زينب محمود شقير، اضطرابات اللغة والتواصل، ص١٨١ .

[٣] د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص٤٩ .

[٤] انظر: د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٦٨ ومابعدها .

وعلى ذلك، فإن أحرف المناغاة تأخذ نمطين، الأول: أصوات أنفية ضيقة تعبر عن عدم الارتياح، والثانى أصوات مسترخية تصدر من خلف الفم وتعبر عن عدم الارتياح والاسترخاء. وإن أغلبية الأصوات تكون للأحرف المتحركة وأقلها للأحرف الساكنة، والحروف الأكثر استخداماً هما حرفا (الدال – الباء) حيث تشبه مناغاة الطفل بهذين الحرفين هديل الحمام.

٣- مرحلة الحروف التلقائية:

- تبدأ هذه المرحلة فى النصف الثانى من السنة الأولى حيث يبدأ الطفل فى نطق بعض المقاطع الكلامية المحدودة. وغالباً ما يبدأ بنطق حروف الحلق المرنة مثل (آ آ) و (غ ع)، وحروف الشفاة السائلة مثل (ب ب ، م م).
- قرب نهاية السنة الأولى يمكن للطفل أن يجمع بين حروف النطق المرنة وحروف الشفاة السائلة فينطق كلمة (باب) – (ماما). دون أن يكون هناك دلالة حقيقية للإشارة إلى الأب أو الأم.
- بعد ذلك يبدأ الطفل فى نطق الحروف السنية (أسنانية لثوية) مثل: (د، ت)، ثم الحروف الأنفية مثل: (ن، خ).
- وعندما يتضح الجهاز الكلامى، يتمكن الطفل من السيطرة على حركات لسانه فيستخدم حروف مثل: (ك، ج، ق.. إلخ) وآخر الحروف التى يتمكن الطفل من السيطرة عليها حرفى (ق، ر) [١].

٤- مرحلة التقليد imitation :

وفى "هذه المرحلة يقلد الطفل صيحات وأصوات الآخرين التى يسمعها وذلك بهدف أن يتصل بهم أو يصبح مثلهم أو بهدف إشباع حاجة ما، وعملية التقليد توجد لدى جميع الناس، واعتبر العلماء هذه العملية بمثابة واحدة من طرائق تعليم اللغة. وعملية تقليد الطفل لألفاظ الآخرين تتوقف على عملية المعززات التى يتلقاها من المحيطين، ويتعلم الطفل فى هذه المرحلة الأشياء الصحيحة التى يجب تقليدها والأشياء الخاطئة التى لا يجب تكرارها، وربط **(جان بياجيه)** بين التقليد وذكاء الطفل وقال إن للذكاء أثراً كبيراً فى ظهور عملية التقليد بصورة صحيحة. ويبدأ التقليد كما يقول بياجيه عند الطفل من سن سنة أو بداية السنة الثانية أى أنه فى نهاية السنة الأولى من عمر

[١] د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٧٠ .

الطفل تتحول عملية التقليد من عملية تلقائية لا إرادية إلى عملية إرادية يصاحبها عنصر الفهم - بعد أن كان عنصر الفهم غير واضح تماماً"[١].

يؤدى "التدعيم Reinforcement دوراً مهماً فى تقليد الأصوات: حيث يقوم الكبار بالاستجابة إلى الطفل والكلام معه وإشباع حاجاته وبالتالى (ومن ثم) فإن الأصوات التى يسمعها من الآخرين تقترن بالطعام والشراب والحنان والتخلص من الفضلات أو المضايقات... والطفل لا يقلد جميع الأصوات وإنما تأخذ العملية طابعاً انتقائياً بفعل التغذية الراجحة التى يتلقاها من الآخرين، وغالباً ما تدوم الأصوات التى يتم تدعيمها وتزول الأصوات التى لا تلق تدعيماً .

وتعد **المحاكاة** من العوامل المهمة فى تعليم اللغة، وبذلك يتسم الأطفال الصم بفروق واضحة عن غيرهم من حيث القدرة على إخراج الأصوات. ويبدأ الأطفال الأسوياء فى نهاية السنة الأولى بإخراج أصوات بعضها شبيه بالكلمات التى ينطق بها الكبار المحيطون بهم"[٢].

وتشير "الدراسات إلى أن الطفل فى عمر (٥- ٦) شهوراً يمكنه التقليد، وأن عملية التقليد لدى الأطفال تأخذ طابعاً انتقائياً فلا تشمل جميع الأصوات وإنما بعضها، فيكرر كلمة "ماما" أو "بابا" وذلك تقليد للآخرين ثم تقليد لنفسه عندما يجد اهتماماً وتشجيعاً من الآخرين فى أن يعيد هذه الألفاظ مرة أخرى .

واعترض "تشومسكى" Chomsky وأتباعه على الفرض القائل "بأن التقليد هو العملية الأساسية فى تعلم اللغة"، ويدلل على ذلك بأن الوليد البشرى هو الوحيد من بين المخلوقات الأخرى – المبرمج بشكل سابق على اكتساب تعلم اللغة – لأنه مزود بقدرة فطرية على اكتساب اللغة وإنتاجها"[٣].

إن اكتساب الطفل السوى للغة ولمفرداتها فى المراحل الأولى من نموه عامة ربما يكون كما يرى (نعوم تشومسكى) Noam Chomsky عفوياً تلقائياً؛ لأن ذهن الطفل مهيأ بشكل من الأشكال لإتمام عملية التكلم واتجاهه لإثبات وجوده الاجتماعى اتجاه فطرى. غير أن مستوى هذا الاكتساب يبقى متوقفاً على مدى تفاعل الطفل نفسه مع محيطه، وعلى الظروف المحيطة به، والعوامل والمثيرات الدافعة لممارسته للغة والحوافز المشجعة على استخدامها، ثم على اتجاهه لإتقان اللغة وطموحه إلى البراعة فيها، وأخيراً على مدى ما يمتلك هذا الطفل من قدرة خاصة على إدراك

---

[١] د. سهى أحمد أمين، الاتصال اللغوى للطفل التوحدى، ص٦٩ .

[٢] د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٧١ وما بعدها .

[٣] انظر: د. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، ص٨٢. ود. سيد أحمد البهاص، سيكلوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص١٠٥. و Crystal, Linguistics, P. 256 .

معانى اللغة وتعلم نطق ألفاظها وما لديه من سرعة ودقة فى ملاحظة أوجه استخدام هذه الألفاظ ومجالاتها.

ويتوقف مستوى هذا الاكتساب أيضاً على نوعية المفردات اللغوية أو الكلمات التى يسمعها الطفل أو تتردد فى بيئته، وعلى أحجام هذه المفردات وأشكالها ووظائفها وأنماط استخدامها والسياقات التى تستعمل فيها ونسبة تكرارها ونوع المدلولات وحجمها المدلولات المرتبطة بها .

كما تتوقف حصيلته من ألفاظ اللغة من حيث محتواها الدلالى أيضاً على المفاهيم والخبرات المعروفة أو المتداولة فى محيطه وعلى مدى ما يلاحظه أو يكتسبه هو نفسه من هذه المفاهيم والخبرات(١).

٥- مرحلة المعانى :

وفى هذه المرحلة "يحاول الطفل ربط الكلمة بمعناها أو بمدلولها، حيث إن إنتاج كلمة صوتية يتطلب أن يكون للكلمة معنى، وتصبح رمزاً لشىء آخر. ويتعلم الطفل ربط الكلمات بالأشياء، بأن يكرر الوالدان أسماء أشياء يألفها الطفل، فمثلاً يقول كلمة عروسة فى كل وقت يمسك الطفل فيه عروسته، حيث يحدث تزاوج بين الكلمة وبين الشىء الدال عليها، فيتعلم الطفل الربط بينهما"(٢).

عندما "يتعلم الطفل النطق تأتى مرحلة المعانى، وبداية خلع المعانى على الألفاظ يتحقق عن طريق التقليد والتعلم، فيحدث توافق بين نمو المدركات الحسية (سمعية- بصرية – لمسية) وبين المظهر الحركى والكلامى. فعن طريق تفاعل النواحى الكلامية والنواحى الحسية يكتسب اللفظ معنى: فعندما ينطق الطفل (با) نجد أن الأم تشجعه، فيكرر الصوت، فتنطق هى كلمة (بابا)، وتشير إلى أبيه فيربط اللفظ بمدلوله أو معناه، فإذا رأى الطفل أباه ينطق لفظ (باب) فينطقه، وعندما تأخذ الكلمة تدعيماً بفرحة الكبار وصياحهم يتم بذلك ميلاد الكلمة"(٣).

ومما سبق، فإن مرحلة ما قبل الكلام يطلق عليها بالإنجليزية عبارة from telegraph to infinty وقد ترجمناها بالعبارة (من التعبير البرقى إلى التعبير اللامتناهى)، ويمكن أن نترجمها إلى (من التعبير المحدود إلى غير المحدود).

---

(١) Chomsky, Language and Mind . P. 15, 101- ff.

(٢) د. زينب محمود شقير، اضطرابات اللغة والتواصل، ص١٨٢.

(٣) د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٧٢ .

المبحث الثانى

المرحلة اللغوية

توطئة:

أجمع علماء اللغة على أن"هذه المرحلة تبدأ عند الأطفال العاديين فى سن (١٥) شهراً و(٣٨) شهراً عند الأطفال المتخلفين عقلياً... وفى مرحلة السنتين يبدأ الطفل بتركيب جملة بسيطة مكونة من كلمتين وتكون أكثر الكلمات عيانية حسية ثم تتدرج إلى الأسماء المجردة، ويبدأ الطفل فى أواخر السنة الثانية استخدام الضمائر وخاصة الشخصية (أنا، أنت) فى حين تظهر حروف الجر والعطف متأخرة .

وهناك بعض الكلمات التى تظهر مبكراً مثل كلمة (لا) وتعنى بالنسبة له أداة تنبيه، وتأتى بعدها كلمة (نعم)، وتظهر متأخرة بعد كلمة (لا) وهى تكون إجابة عن سؤال. وتتركز كلمة (نعم) على عامل الفهم والتمييز .

ويبدأ الطفل فى سن ثلاث سنوات استخدام الضمير الغائب (هو) أو (هى) وذلك للإشارة إلى أشخاص بعينهم، وأيضاً فى هذه المرحلة يستخدم الطفل ضمير المتكلم (أنا) وقد يحدث بعض الخلط بين (أنا) و(أنت) عند بعض الأطفال ولكن بالتدريب المستمر يزول هذا الخلط"[١].

وتقسم هذه المرحلة إلى عدة مراحل فرعية من أهمها :

١ - مرحلة الكلمة الواحدة :

اختلفت "الآراء حول بداية المرحلة اللغوية بصفة عامة، فعلماء اللغة يرون أن الطفل العادى يمكنه أن يصل إلى المرحلة اللغوية فى عمر السنة الواحدة، وإن كان بعض الأطفال الممتازين يمكنهم الوصول إلى تلك المرحلة فى سن تسعة أشهر .

إن الكلمة "الجملة" يمكن عدها على هذا النحو جملة مكتملة تنقل فيها الكلمة المعنى الذى يريد الطفل أن يعبر عنه، فالطفل ينطق بكلمة فى حكم المفعول به ويكون الفاعل مستتراً فى قوله "كورة" ويعنى "أنا عايز كورة" وأحياناً تكون الكلمة فاعلاً لفعل يفهم من السياق عندما يقول الطفل "بابا" ويقصد القول "جاء أبى" .

---

[١] د. سهى أحمد أمين، الاتصال اللغوى للطفل التوحدى، ص٧٠ .

كما أن نبرة الصوت للكلمة التى ينطقها الطفل تحدد بقية الجملة المحذوفة فمثلاً إذا قال الطفل "ماما" بنبرة عالية نسبياً فإن من حوله يترجم هذا بأنه سؤال محتواه أين أمى؟ وهكذا"[١].

وتؤدى الكلمة فى تلك المرحلة الوظيفية التى تؤديها العبارة أو الجملة التامة، ويطلق عليها مصطلح holophrastic. افترض "أننا نجلس فى حجرة الطبخ الخاصة بأحد الأصدقاء، ومعنا طفل عمره خمسة عشر شهراً، وقد نظر إلى جهاز الطبخ Stove، ونطق بعض الأصوات التى تشبه كلمة hot، إن هذا الطفل يريد أن يقول إن أجهزة الطبخ hot، وربما يعززز ذلك ويقويه مرور الطفل بتجربة غير مريحة بالنسبة إليه مع أحد أجهزة الطبخ؛ لذلك يمكن اعتبار الكلمة الواحدة تساوى قول أحد البالغين. The stove is hot .

وقد أشار اللغويون إلى أن الكلمة التى يستعملها الأطفال؛ لأداء الدور الذى تؤديه العبارة التامة، يمكن حصره فى الوظائف الثلاث الآتية .

١- تربط بين حركة الطفل والرغبة فى تحقيقها عن طريق أحد الأفراد.

٢- التعبير عن الرغائب والانفعالات والأحاسيس ونقلها إلى الآخرين.

٣- تسمية الأشياء التى لها وظائف، وهى تدخل فى اهتمام الطفل"[٢].

وتخلو مفردات الطفل تقريباً من الأسماء التى تدل على أشياء ساكنة مثل: حائط أو نافذة، وكذلك من الكلمات الوصفية مثل: أسماء الألوان أو الأحجام (كبير، صغير) أو أحوال الطقس (حار، بارد)؛ لأن مثل هذه الكلمات تشير إلى خصائص ساكنة للأشياء .

٢- مرحلة الكلمتين :

يبدأ "الطفل فى الثانية من عمره –تقريباً- فى استخدام كلمتين معاً حين التعبير، وبالرغم من عدم وجود أى رابط بينهما، وكأن كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى، فهما يكونان جملة لها تركيب نحوى، نستطيع التوصل خلاله إلى معنى معين[٣].

وتسمى أحياناً "لغة البرقيات، وفيها يبدأ الطفل بإصدار أول تعبير من كلمتين، ولا يكون ذلك إلا إذا زادت مفرداته اللغوية ووصلت إلى (٥٠) كلمة تقريباً فى سن العامين. ويقصد بلغة

---

[١] د. سيد أحمد البهاص، سيكلوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص١٠٥ ومابعدها.

[٢] د. محمود ياقوت، دراسات فى فقه اللغة، ص٥٣ .

[٣] انظر: د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٧٦ وما بعدها .

البرقيات أن هناك ألفاظاً قليلة لكنها تحمل معان كثيرة، وهذه اللغة يستخدمها الكبار أحياناً خاصة فى الرسائل التلغرافية كأن ترسل أسرة لابنها المسافر عبارة "احضر حالاً" هنا تفسر تلك العبارة المكونة من كلمتين تفسيرات عديدة وكلها تعنى ضرورة العودة للوطن فوراً لشىء هام يستدعى العودة .

أما فى حالة الأطفال فإن الطفل يطلق كلمتين غير مترابطتين ولا معنى لهما فمثلاً يقول الطفل (بابا قلم) وهاتان الكلمتان تؤولان إلى أكثر من جملة مثل (هذا قلم أبى) أو (أبى يكتب بالقلم) أو (أعطنى القلم يا أبى) أو (خذ القلم يا أبى)، ويلاحظ أنه فى هذه المرحلة قد يضيف الطفل من الإشارات ما يعوض الكلمات المحذوفة"[١].

وفى "نهاية السنة الثانية من عمره يبدأ الطفل فى تعليم العلاقات بين عناصر الجملة والصفات الدلالية لأجهزتها المكونة، ويبدأ فى تكوين الجملة ذات الكلمتين، ثم يتجاوز ذلك بعدها إلى تكوين الجمل ذات الكلمات الثلاث فالأربع فالخمس"[٢].

وتدل بعض الأبحاث التى أجريت على الأطفال فى المراحل الأولى من نموهم على أن اكتسابهم للألفاظ والتراكيب اللغوية عادة ما يبدأ فى الظروف الطبيعية بطيئاً ضعيفاً، ثم ينمو هذا الاكتساب بسرعة فائقة، فبينما يتراوح حصيلة الطفل من ألفاظ اللغة فى أول ثمانية عشر شهراً بين (٣-٥٠) كلمة، يصل متوسط عدد الكلمات التى يكتسبها إلى أربعمائة كلمة تقريباً عندما يبلغ سنتين ونصف السنة من العمر"[٣].

٣- مرحلة تركيب الجملة :

وهذه المرحلة لا تبدأ إلا بعد اكتساب الطفل عدداً من المفردات يكفى لبناء جملة مركبة من أكثر من كلمة... وهناك ثلاث خطوات لتكوين الجمل لدى الأطفال:

الخطوة الأولى:

وهى مرحلة الكلمة التى تقوم مقام الجملة، حيث يكون الطفل قد بلغ سنة كاملة من عمره فيقول "حمد" وهو يعنى(تعال يامحمد).

---

[١] د. سيد أحمد البهاص، سيكولوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص١٠٦ وما بعدها .

[٢] د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص٤٩ .

[٣] انظر: د. محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي والاجتماعي)، ص٢٣٧.

الخطوة الثانية:

وهى مرحلة الجملة الناقصة والمستخدم فيها كلمتان أو أكثر لكن دون وجـــود علاقـــة بينهما – لغة البرقيات – ويكون عمر الطفل فى هذه المرحلة تقريباً بين الثانية والثالثة كأن يقـــول الطفل (ماما التفاحة) ويعنى (هذه التفاحة يا أمى) أو (هذه هى التفاحة التى سقطت منك يا أمى).

الخطوة الثالثة:

وهى مرحلة الجملة التامة وهى الجمل المركبة والأكثر تعقيداً، وتزداد الكلمات المكونـــة للجمل بحسب الأعمار المختلفة للأطفال[١].

٤ - النمو اللغوي فى مرحلة ما قبل المدرسة (الروضة):

يظهر "نمو الكلام فى هذه المرحلة وقد أخذ بالاكتمال، ولكن ليس معنى هذا أن الطفل قد أصبح يتكلم كالراشدين، بل إن أقسام الكلام لديه قد اكتملت ويستطيع النطق بشكل جيد، ويبدأ الطفل باستخدام الأساليب النحوية بشكل أفضل، وتنمو اللغة بسرعة كبيرة. تزداد مفردات الطفل بشكل كبير فى هذه المرحلة حتى تصل فى عمر (٧٢) شهراً إلى (٢٥٨٩) كلمة ويسيطر الطفل على التركيبات النحوية للألفاظ التى تتعلق بما يدور فى بيئته وحاجاته. ويلاحظ نمو اللغة الشفهية Oral Language بشكل سريع ومدهش خلال فترة ما قبل المدرسة وفى هذه المرحلة أيضاً يظهـــر نمـــو سريع فى جوانب لغوية عديدة (كطول الجملة، والتركيب اللغوى تبعاً للقواعد والنطق)"[٢].

٥ - النمو اللغوي فى مرحلة المدرسة الابتدائية :

فى بداية المرحلة الابتدائية يزداد محصول الطفل اللغوى زيادة كبيرة، ويقدر عدد الكلمات التى يعرفها الطفل عند انتهائه من الصف الأول الابتدائى بما يقع بين ٢٠ ألفاً إلى (٢٤) ألف كلمة وهى نسبة تمثل من ٥% إلى ٦% من كلمات معجم لغوى عادى، وحين يصل الطفل إلى الـــصف السادس الابتدائي فإن محصوله اللغوي يصل إلى (٥٠) ألف كلمة تقريباً[٣].

---

[١] انظر: د.سيد أحمد البهاص، سيكولوجية اللغة واضطرابات التواصل،ص١٠٧ ومابعدها .

[٢] د. سهير محمد سلامة، علم نفس اللغة، ص٨١ .

[٣] د. سيد أحمد البهاص، سيكلوجية اللغة واضطرابات التواصل، ص١٠٩ .

وعلى ذلك، فإن النمو اللغوى للطفل فى هذه المرحلة يكتمل بصورة مطردة. يتضح فى ثراء محصوله اللغوى وزيادة مفرداته اللغوية، وفى نمو التراكيب اللغوية، والقدرة على التعبير عن أفكاره بامتلاك مهارات الاتصال، إلى جانب نمو مهارة القراءة والكتابة .

عند دخول الطفل المدرسة يكون قادراً على استعمال جمل تتكون من (٥-٧) كلمات وتنمو فيما بعد قدرة الطفل على استعمال الجمل المركبة، فيصل طول الجملة فى سن الثامنة إلى (٦,٩) كلمة فى المتوسط، وفى سن العاشرة يصل طول الجملة (٨,٥) كلمة فى المتوسط.

ومن ناحية أخرى ينمو استخدام الطفل للكلمات الأكثر تعقيداً وتركيباً بحيث لا تكون الجمل تامة ومفيدة، مراعياً التراكيب اللغوية الصحيحة أحياناً :

- فالجمل الاسمية فى الغالب بسيطة وتتكون من مبتدأ وخبر مفردين، وفى الغالب يتقدم الخبر إذا كان جاراً ومجروراً أو ظرفاً أو استفهاماً، وإذا وقع بعد الفعل الناقص (كان).
- والجمل الفعلية التى يستخدمها طفل المدرسة الابتدائية ترتبط بالأحداث المحيطة به أو بمن يحيطون به أو بالأشياء التى فى بيئته أو التى لا يراها، وتتكون الجمل فى الغالب من فعل وفاعل وإن وجدت بعض الأخطاء المرتبطة بزمن الفعل .
- وطفل المدرسة الابتدائية يستطيع استخدام الضمائر المختلفة خاصة ضمير الغائب الذى لم يكن باستطاعته توظيفه جيداً فى أحاديثه السابقة، وهذا يعنى أن أحاديث الطفل فى هذا السن لم تعد مركزة حول الذات فقط، بل أصبحت تدور حول ما يحدث للشخصيات التى يتحدث عنها من أحداث وأفعال فى زمان ومكان معينين وفى بيئة اجتماعية مألوفة، وبالرغم من ذلك توجد فروق شاسعة بين أطفال المدرسة الابتدائية فى فهم التراكيب اللغوية المختلفة.
- من حيث الأساليب: يستطيع أطفال المدرسة الابتدائية استخدام أسلوب النداء، والشرط، والاستفهام، والتعجب، واستخدام الأساليب الإنشائية والخبرية، وصيغ المبنى للمجهول، والمبنى للمعلوم بكفاءة .
- ومن حيث معانى الكلمات ومفاهيمها الخاصة، يستطيع الأطفال فى سن المدرسة الابتدائية التمييز بين المترادفات، واكتشاف الأضداد[١].

[١] د. سهير محمد سلامة، علم نفس الطفل، ص٨٩ ومابعدها . وانظر: صباح حنا هرمز، الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، ص٣٩- ٤٨. و د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص٥٣- ٥٤. و د. على عبدالواحد وافى، اللغة والمجتمع، ص١٠- ٢٨ .

تقفيـــــــــة

لا يعنى ما سبق أن الطفل مهيئ لاكتساب لغة بعينها، ليس هذا صحيحاً ألبتة، بـــل إنـــه مهيئ لاكتساب أية لغة من لغات البشر التى يقدر له أن يعيش بين أصحابها، ولهذا يقول أصـــحاب النظرية التوليدية: إن الخصائص الفطرية المزود بها الطفل ينبغى أن تكون عامة، إنها عميقـــة deep بحيث تجعله قادراً على امتلاك البنية التحتية لأية لغة إنسانية بيسر وعلى حد سواء. وفى هذا المجـــال ينبغى أن تكون الاهتمامات المشتركة بين نظرية فى علم اللغة ونظرية فى علم الـــنفس – ينبغـــى أن تكون واضحة .

وثمة اعتراضات على نظرية **(تشومسكى)** فى اكتساب اللغة، بيد أن هذا لا يقلـــل مـــن أهميتها؛ لأن مفاهيم هذه النظرية – كما يقول **(كريستال)**: لم تنتشر إلا حديثاً جداً، وهذا المجـــال من الدراسة اللغوية هو من أكثر مجالات الدراسة إثارة هذه الأيام، وسوف يظل من غير شـــك فى طليعة اهتمامات علم اللغة فى السنوات القليلة القادمة[١].

[١] Crystal, Linguistics, P. 257 .

الخاتمـــــــــــة

لقد حاولت فى هذا البحث أن أبرز مراحل اكتساب الطفل للغة فى ضـــوء علـــم اللغـــة النفسى، حيث إن الإنسان يتعلم اللغة منذ طفولته، بعد أن يتوافر لديه الاستعداد الفطـــرى التـــام لاكتسابها، ويلتقى عنده خطا اللغة والفكر، ثم يبدأ شيئاً فشيئاً بالكشف عن مميزات اللغـــة وإدراك غاياتها ووظائفها وارتباطها بما حوله .

وقد خرجت هذه الدراسة **بمجموعة من النتائج**، يمكنني أن أجمل أهمها فيما يأتى :

(١) **يحاكى** الطفل فى بادئ الأمر الكلمات التى يسمعها محاكاة غير صحيحة، ويظل يصلح من نطقه شيئاً فشيئاً، مستعيناً بـــالتكرار، ومعتمـــداً علـــى مجهوده الإرادى، ومستفيداً من تجاربه، حتى تستقيم له اللغة .

(٢) فى أواخر السنة الثانية – تقريباً – يظهر لدى الطفل ما يصح أن نـــسميه "بالمحاكاة الموسيقية للعبارات"، فيحاكى الطفل أحياناً بعض العبارات التى يسمعها مجرد محاكاة موسيقية، بأن يلفظ أصواتاً مبهمة تمثل فى **تنغيمها** موسيقى العبارة التى يريد محاكاتها بدون أن تشتمل على كلماتها وكأنـــه يحول قطعة شعرية إلى قطعة موسيقية حيث تصدر أنغاماً واضـــحة دون كلمات .

(٣) يغلب على لغة الطفل التعلق بالمحسوسات لا بالمجردات (ماما، بابا، لبن... إلخ). أما الأفعال والحروف فلا تظهر فى لغة الطفل إلا بعد الأسماء المحسوسة، أما الأسماء المعنوية (حب، فرح... إلخ) فتختلف فى ظهورها لاعتمادها على خبرات معينة فى مواقف تهيئ للطفل عملية التعميم، وهذه القدرة لا تأتى للطفل إلا متأخرة .

(٤) يغلب على لغة الطفل **البساطة** وعدم الدقة والتحديد للأشياء.

(٥) يغلب على لغة الطفل، **التركيز حول النفس**؛ لأن الطفل قبل ســـن المدرســـة غير اجتماعى .

(٦) للطفل مفاهيمه وتراكيبه الخاصة فى الكلام .

(٧) لايتعلم الأطفال اللغة عن طريق تخزين الكلمات، والجمل فى قـــاموس أو معجم ضخم داخل الذهن، وإذا كان تخزين عدد من الكلمات ممكنـــاً؛ لأن الكلمات محدودة؛ فإن الأمر يختلف تماماً مع الجمل التى لا يمكن تخزينها داخل الذهن؛ لأنها غير محدودة ولا يمكن حصرها.

(٨) يمكن للأطفال تعلم طريقة **بناء الجمل** عن طريق التلقين والممارسة، ويؤدى هذا إلى مقدرتهم على تأليف جمل لم يسمعوها من قبل، وتأتى تلك الجمل - فى الأغلب الأعم – خالية من قواعد النحو .

(٩) لدى الأطفال المقدرة على فهم العديد من الجمل التى لم يسمعوها من قبل، دون الاستعانة بمقارنة تلك الجمل بالجمل المخزونة داخل الذهن، إن كانت هناك جمل أصلاً مخزونة لديهم .

(١٠) يعرف الأطفال بعض القوانين التى تمكنهم من استخدام اللغة بمهارة دون أن يتعلموا تلك القوانين؛ لأن الوالدين لايهتمان أساساً بالقوانين الصوتية والتركيبية والدلالية، ويتصرف الأطفال فى الاستعمال اللغوى بطريقة تشبه تصرف اللغوى الكفء الذى يعرف نظرية متكاملة عن اللغة.

(١١) حين يبلغ الطفل الثالثة من عمره يستطيع، عن طريق الملاحظة استعمال بعض (المورفيمات) morphemes التى تؤدى وظائف نحوية،ومن أمثلة ذلك فى الإنجليزية المورفيم ing- الذى يدل على الاستمرار؛ فنجد الطفل يقول: Cat Sitting، أو Mommy reading book، ونجده أيضاً يكون بعض صيغ الجمل القياسية عن طريق استعمال S...، فيقول: boys ، Cats، وربما يلجأ إلى تكوين بعض صيغ الجمل الشاذة، أو غير الصحيحة من شدة إلفه الاستعمال السابق فيقول: foots ,Mans .

(١٢) هناك بعض الصعوبات التى يجدها الطفل فى تعلم التراكيب النحوية ويتمثل ذلك فى إعادة الجملة التى يستمع إليها عن طريق إعطاء المعنى فقط، دون أن يكون فى ذهنه شىء يتعلق بقواعد تركيب الجملة، ومن أمثلة ذلك أنه قيل لطفلة جملة هى: Owl who eats candy runs fast، وحين طلب منها إعادتها قالت: Owl eat candy and he run fast ومن الواضح أنها تعبر عن المعنى الخاص بالجملة التى استمعت إليها، دون أن تدرك شيئاً يتصل بالقواعد النحوية .

والله الموفق

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

د. أحمد محمد المعتوق:

- الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنـــون والآداب، الكويـــت، ١٩٩٦م .

د. أحمد مختار عمر :

- دراسة الصوت اللغـــــــوى، عالم الكتـــب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـــ- ١٩٨٥م .

ابن جنى (أبو الفتح عثمان):

- الخصائص، تحقيق/ محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م.

جودث جرين :

- التفكير واللغة، ترجمة د. عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م .
- علم اللغة النفسى (تشومسكى وعلم النفس)، ترجمة وتعليق، د. مصطفى التونى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م .

د. حنفى بن عيسى :

- محاضرات فى علم النفس اللغوى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ١٩٨٠م .

د. رمضان عبد التواب :

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، الخانجى، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م .

د. زينب محمود شقير:

- اضطرابات اللغة والتواصل، النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.

د. سهى أحمد أمين:

- الاتصال اللغوى للطفل التوحدى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـــ- ٢٠٠٢م .

د. سهير محمد سلامة:

- علم نفس اللغة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٦م .

د. سيد أحمد البهاص:

- سيكلوجية اللغة واضطرابات التواصل، النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م .

صباح حنا هرمز:

- الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٧م .

د. عبد الغفار حامد هلال:

- أصوات اللغة العربية، مطبعة الجبلاوى، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـــ- ١٩٨٨م .

د. عبده على الراجحى:

- فقه اللغة فى الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م .

د. على عبد الواحد وافى:

- علم اللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٧م
- اللغة والمجتمع، نهضة مصر، القاهرة، د. ت .

د. عيد محمد الطيب:

- أصوات اللغة العربية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٣م .

د. فؤاد البهى السيد:

- الأسس النفسية للنمو، دار الفكر العربى، القاهرة، ط٤، ١٩٧٥م.

د. محمد حسن عبد العزيز:

- مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م .

د. محمد عماد الدين إسماعيل:

- الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسى والاجتماعى للطفل فى سنواته التكوينية) سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، ١٩٨٦م .

د. محمد محمد داود:

- العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م .

د. محمود أبو زيد:

- اللغة فى الثقافة والمجتمع، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م .

د. محمود سليمان ياقوت:

- دراسات فى فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م .

د. نايف خرما:

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م .

ثانياً: المراجع الأجنبية :

Chomsky, (Noam):

- **Language and Mind, New York, Harcourt and Brace, 1968.**

Crystal, (David):

- **Linguistics, Penguin Books, 1968 .**

Jespersen, (Otto):

- **Language, its Nature, Development and Origin, London, 1964 .**